الموت بين الإعجاز القرآني والعلم الحديث: دراسة تحليلية

د. أحمد سمير علي مرزوق

ملخص البحث

تناول البحث لفظة الموت في التي وردت في القرآن الكريم كثيرًا وكان هناك الكثير من الدلائل الإعجازية التي صاحبتها مما يظهر قدرة الله سبحانه وتعالى، و هذه الدراسة اقتصرت على محورين يُمكن من خلالهما تبين وجوه الإعجاز الإلهي في الموت، فيناقش المحور الأول العلاقة بين الموت والحياة، أما المحور الثاني فيتوقف أمام الموت الأصغر والموت الأكبر و في ختام هذا البحث نخلص إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى للناس الاثباتات الكافية لربوبيته -وهو الغنى عنها- وتميزت هذه الاثباتات أنها تتلاءم مع عقلية البشر في كل مكان وزمان، فلم يتحدث الله سبحانه وتعالى عن العناصر الداخلية التي يتكون منها الجسد البشري بالتفصيل حتى لا تكون ألغازا لا تحل في العصور السابقة بل تركها صالحة لكل زمان ومكان حتى يتبين للناس أن الله هو الخالق الواحد للكون وما فيه، وليس أدل على ذلك من أن العلم قد توصل إلى ما كشف عنه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان ولكن أكثر الناس لا يتدبرون.

Death Between the Qur'anic Miraculousness and Modern Sciences: An Analytical Study

Dr.Ahmed Samir Ali Marzouk

Abstract

The word death (mout) appears in the Holy Qur'an accompanied with miraculousness that shows the great ability of Almighty Allah. The present paper deals with two dimensions that can prove the holy miraculousness in the concept of death (mout). The first dimension discusses the relationship between life and death, while the second dimension tackles the concepts of small death (Al-mout Al-Azghar) and large death (Al-mout Al-Akbar).Due to the procedures, the paper presents different conclusions, mainly about the evidences of the oneness and Godliness of Allah. These evidences are distinguished by their simplicity and appropriateness to the human mind for every time and place. This is to show that Allah is the only creator of the whole Universe, but most people are unthinkable.

الموت بين الإعجاز القرآني والعلم الحديث

- دراسة تحليلية -

د. أحمد سمير علي مرزوق

مدرس بكلية اللغات

جامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب

توطئة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على من والاه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أما بعد؛ لطالما راود الإنسان منذ قديم الأزل وحتى يومنا هذا القلق والخوف والذعر من الموت، وربما كان هذا الخوف هو الدافع الرئيس في ارتكاب سيدنا آدم عليه السلام لأول مخالفة لأوامر الله عز وجل، وذلك عندما أكل وزوجه من الشجرة المحرمة، وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠)﴾[1]، فكان البحث عن الخلود هو السبيل الذي دخل منه الشيطان ليوسوس لسيدنا آدم عليه السلام، فكانت النتيجة الخروج مما هم فيه من نعيم الجنة والهبوط إلى الأرض﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ * وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ * وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[2].

ولقد ذُكرت لفظة الموت في القرآن كثيرًا وكان هناك الكثير من الدلائل الإعجازية التي صاحبتها مما يشي بقدرة الله سبحانه وتعالى، ولكن الدراسة ستقتصر على محورين يُمكن من خلالها تبين وجوه الإعجاز الإلهي في الموت، فيناقش المحور الأول العلاقة بين الموت والحياة، أما المحور الثاني فيتوقف أمام الموت الأصغر والموت الأكبر، ولكن قبل الولوج إلى هذه المحاور كان لِزامًا على الدراسة أن تُعرف الموت.

تعريف الموت

(١) سورة الأعراف، الآيتان ١٩-٢٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٩.

عرَّف ابن فرج الأنصاري (ت٦٧١هـ) الموت بأنه هو «انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما، وتبدل من حال إلى حال، وانتقال من دار إلى دار»[١]، أما الموت في اللغة فتعني مفارقة الحياة، فهو " ضد الحياة . ويطلق الموت ويراد به: ما يقابل العقل والإيمان، نحو ما في التنزيل العزيز ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾، و:﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾. كما يراد به: ما يُضعف الطبيعة ولا يلائمها، كالخوف والحزن، كقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، والأحوال الشاقة كالفَقر والذل والهَرَم والمعصية" [٢]، إذن فلفظة الموت حمالة أوجه منها الحقيقي ومنها المجازي، فهي تحمل في طياتها تأويلات متعددة ومتباينة في آن، ويُحدد معناها بحسب السياق الموضوعة فيه، ولكن سيتوقف هذا البحث أمام المعنى الحقيقي للموت وهو زوال الحياة من الكائن الحي بصفة عامة والإنسان بصفة خاصة.

المحور الأول: العلاقة بين الموت والحياة

الموت هو الحقيقة الكبرى التي يهرب منها الإنسان دائمًا على الرغم من أنها ماثلة أمامه في كل وقت، فـ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٣]، فلا مفر من الموت ولكن المثير للتفكر والتدبر أن تتعدد مصاحبة كلمة الموت بكلمة الحياة كثيرًا في القرآن الكريم، فعلى الرغم من تضادهما اللفظي إلا أنهما يكملان بعضهما البعض في النظام الكوني المُعجز، وفي ذلك يقول الله عز وجل ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ

(١) محمد بن أحمد بن فرج الأنصاري القرطبي: التذكرة في أحوال الموتى وأمور أخرى، تحقيق عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ٤/ ٦١.

(٢) إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، القاهرة، ٢٠٠٤م، مادة (موت).

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٥٧.

* وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَي * وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]، فهما مخلوقان مسخران للمحافظة على الكون - بصفة عامة - من الانهيار، ومسخران لاختبار الإنسان - بصفة خاصة- لتحديد مكانه في الآخرة، سواء الجنة ونعيمها أم النار وعذابها، وفي ذلك يقول الله عز وجل ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾[2].

ولقد ذكر القرآن الكريم الحالة التي يصير عليها كل كائن حي عندما يموت، فهو يتحلل ويصبح ترابًا، هذا التراب هو المحصلة النهائية التي يصير إليها جسد الكائنات الحية بعد الموت، لذلك سخر الكافرون من كلام الرسل عن البعث والحساب، لأنهم يرون أنه لا يمكن أن يعادوا مرة أخرى إلى الحياة لحسابهم على ما اقترفوه من آثام وجرائم في الدنيا، فتتعدد آي القرآن التي تذكر موقف الكافرين من البعث على اختلاف الزمن، ومنها قوله تعالى:

- ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ *أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ * وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ*وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ*هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[3]

- ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧)﴾.[4]

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٧.
(٢) سورة الملك، الآية ٢.
(٣) سورة الرعد، الآية ٥.
(٤) سورة المؤمنون، الآيات ٣٤-٣٧.

- ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨)﴾.[١]

- ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣)﴾.[٢]

- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨)﴾.[٣]

وكما ارتبط التراب بالموت في القرآن الكريم فلقد ارتبط أيضًا ببداية الحياة، ومن ذلك قوله تعالى:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[٤].

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٥]

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾[٦]

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان ٤٧-٤٨.

(٢) سورة ق، الآيتان ٢-٣.

(٣) سورة النمل، الآيتان ٦٧-٦٨.

(٤) سورة الحج، الآية ٥.

(٥) سورة غافر، الآية ٦٧.

(٦) سورة الروم، الآية ٢٠.

- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾[1]

- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[2]

إذن يُمكن أن نتوصل إلى حقيقة مفادها أن القرآن الكريم قد حدد لنا أن بدايتنا ونهايتنا مرتبطة بالتراب، وهنا تتبدى المعجزة الإلهية في الآيات القرآنية، حيث أثبت العلم الحديث بالدليل القاطع أن التراب هو المادة المكونة لجسد الإنسان، وأن هذا التراب جاء من خارج كوكب الأرض من النجم الثاقب والذي أقسم به الله سبحانه وتعالى في سورة الطارق، فقال: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ(٧)﴾[3]، فالماء يخرج من بين ذرات المعادن التي تبعثرت بفعل الإنفجار الكوني، وهذا ما توصل إليه العالم الفيزيائي الأمريكي كارل ساغان (**Carl Sagan**) حين قال إن "منشأ الحياة وتطورها مرتبطان بشكل جوهري بمنشأ النجوم وتطورها. فمن ناحية أولى نجد أن المادة نفسها التي نتألف نحن منها. والذرات التي تجعل الحياة ممكنة، كانت قد ولدت منذ زمن طويل وفي أماكن بعيدة في النجوم الحمراء العملاقة"[4]، وهذا يتوافق أيضًا مع ما توصلت إليه العالمة الفيزيائية الكرواتية بيلالبجوفيتش (**Bilalbegovic**) حينما رصدت في دراستها الموسومة بـ" هل توجد جسيمات من التربة النانوية في الفضاء" الغبار الكوني باستخدام

(١) سورة فاطر، الآية ١١.

(٢) سورة الكهف، الآية ٣٧.

(٣) سورة الطارق، الآيات ٣-٧.

(٤) كارل ساغان: الكون، ترجمة نافع أيوب لبّس، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، الكويت، العدد ١٧٨، ١٩٩٣م، ص١٨٨.

التحليل الطيفي بالأشعة تحت الحمراء، فكانت النتائج أن ظهرت العناصر الأكثر وفرة الموجودة في الكون والموجودة في جسم الإنسان مثل الكربون والأكسجين والحديد والمغنيسيوم والكالسيوم.[1]

وفي دراسة حديثة أخضع الدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز الجسم البشري إلى التحليل المخبري لاكتشاف العناصر التي يتكون منها الجسم الإنسان، فاعتباره» أشبه بمنجم صغير، يشترك في تركيبه حوالي (٢٢) عنصرًا، تتوزع بشكل رئيسي على:

١- أكسجين(O) وهيدروجين (H) على شكل ماء بنسبة ٦٥ - ٧٠٪ من وزن الجسم.

٢- كربون(C)، وهيدروجين(H) وأكسجين(O)، وتشكل أساس المركبات العضوية من سكريات ودسم، وبروتينات، وفيتامينات، وهرمونات أو خمائر.

٣- مواد جافة يمكن تقسيمها إلى:

أ- سبع مواد هي الكلور(CL)، والكبريت(S)، والفوسفور(P)، والمغنزيوم(MG)، والكلس(Ca)، والبوتاسيوم(K)، والصوديم(Na)، وهي تشكل ٦٠-٨٠٪ من المواد الجافة.

ب- سبع مواد أخرى بنسبة أقل هي: الحديد(Fe)، والنحاس(Cu) واليود(I) والمنغنيز(Mn)، والكوبالت(Co)، والتوتياء(Zn)، والمدلبيديوم(Mo).

ج- ستة عناصر بشكل زهيد هي: الفلور(F)، والألمنيوم(AI)، والبور(B)،

(1) G. Bilalbegovi and Others: "Do cement nanoparticles exist in space?" Monthly Notices of the Royal Astronomical Society, Vol.442, 2014, P.1319.

والسيلينيوم(Se)، والكادميوم(Cd)، والكروم(Cr)...كل هذه العناصر موجودة في تراب الأرض...، وقد أشار لذلك القرآن حيث قال (من سلالة من طين) وفي ذلك إعجاز علمي بليغ".[1]

ويستمر الإعجاز القرآني حين يُذكر امتزاج الطين بالماء ليتحول لمادة تشبه الفخار، وذلك في قوله تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤)﴾[2]، ففي هذه الآية تشبيه مجمل، به المشبه وهو الصلصال (أصل الإنسان والكائنات الحية) والمشبه به وهو (الفخار) وأداة تشبيه وهي (الكاف)، ويغيب عنه وجه الشبه بين المشبه والمشبه به وهو – فيما تعلم هذه الدراسة – التعرض لحرارة شديدة، لأن الفخار هو الطين الذي قد طبخ من خلال تعرضه للحرارة المرتفعة لوقت طويل، وهذا ما اكتشفه مؤخرًا دافي موشر(**Dave Mosher**) في مقال حمل عنوان «الحياة على كوكب الأرض بدأت من الأرض وليست من البحر» ونشره في المجلة العلمية ناشونال جرافيك (**National Geographic**)، وفي هذا المقال يُفند – بالأدلة القاطعة – الرأي العلمي القائل بأن الحياة خلقت في البحر، ليتوصل إلى حقيقة أن الحياة نشات في الطين الحار وبخاصة حول البراكين الملتهبة، لأن في هذه التربة تكون نسبة البوتاسيوم للصوديم في الخلية أكثر من واحد إلى واحد لصالح البوتاسيوم، في حين أن في البيئة البحرية تكون النسبة فيها ٤٠ إلى ١ لصالح الصوديم، وهذه البيئة غير قابلة لوجود حياة.

ولقد استعان دافي برأي الباحث أرمين مُلكيدجانين (**Armen Mulkidjanian**) حين درس تربة النيازك فأدرك أن حقول الطاقة الحرارية الأرضية الموجودة على الأرض

(١) عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز: مع الطب في القرآن الكريم، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٨٢م، ص ٧٢-٧٣.

(٢) سورة الرحمن، الآية ١٤.

يمكن أن تؤدي المهمة، خاصةً الأواني الطينية التي تسمح بخروج البخار من الأرض الذي يتكاثف ويحمل معه العديد من المعادن بما في ذلك البوتاسيوم، فكانت بيئات الأكسجين هذه مستقرة على مدى ملايين السنين، وربما كانت مؤاتية لدعم الحياة الأولى على الأرض، وعضد نتيجته تلك بدراسة أماكن تعرضت للاحتراق لفترات طويلة مثل متنزه يلوستون القومي.[١]

إن هذه الاكتشافات تدفعنا إلى تساؤل موجه للعلماء الملحدين والماديين هو لماذا يقف الإنسان عاجزًا عن تخليق الحياة في المعمل مع وجود الغبار الكوني (التراب) وقدرته على توفير الجو الملائم والظروف المناخية التي يزعم أنها هي حقيقة بداية الحياة حتى يهرب من حقيقة أكبر منه وهي وجود خالق عظيم لهذا الكون، ولقد حاول بعض العلماء عمل ذلك بالفعل وكان من أشهرهم العالم الروسي الكسندر أوبارين (**Alexander Oparin**) الذي حاول جاهدًا إثبات أن الخلية يمكن أن تنبثق مصادفة وأنه يمكن تخليقها في المعمل، إلا أنه فشل فشلًا زريعًا اضطره إلى الاعتراف علنًا بأن عملية التخليق يستحيل أن تتم في المعمل، وأن منشا الخلية يعد من أكثر الأشياء غموضًا، ولكن العالم الأمريكي ستانلي ميلر (**Stanley Miller**) أعاد المحاولة مرة أخرى من خلال إيجاد غلاف جوي بدائي للأرض يشابه الغلاف الجوي منذ ملايين السنين حتى يمكن تكوين الخلية ولكن ذهبت جهوده أدراج الرياح بلا أي فائدة فهو لم يستطع صنع هذا الغلاف الجوي البديل على الرغم من التكنولوجيا المتوفرة له وقد اعترف بالفشل هو الآخر في النهاية.[٢]

(1) Dave Mosher: The life on the Erase began from the land not the sea, national geographic magazine, April,2012. http://news.nationalgeographic.com/news/2012/02/120213-first-life-land-mud-darwin-evolution-animals-science/

(٢) هارون يحيى: المعجزات القرآنية، ص٨٢-٨٣.

ونخلص من هذا إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى للناس الاثباتات الكافية لربوبيته -وهو الغني عنها- وتميزت هذه الاثبتاتات أنها تتلائم مع عقلية البشر في كل مكان وزمان، فلم يتحدث الله سبحانه وتعالى عن العناصر الداخلية التي يتكون منها الجسد البشري بالتفصيل حتى لا تكون ألغازا لا تحل في العصور السابقة بل تركها صالحة لكل زمان ومكان حتى يتبين للناس أن الله هو الخالق الواحد للكون وما فيه، وليس أدل على ذلك من أن " العلم قد توصل إلى ما كشف عنه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان"[1] ولكن أكثر الناس لا يتدبرون.

(١) محمد متولي الشعراوي: نهاية العالم، قطاع الثقافة أخبار اليوم، ص٢٤.

المحور الثاني الموت الأصغر والموت الأكبر

إذا كان الموت هو مفارقة الروح للجسد، وإذا كانت هذه الدراسة تتوقف عند الإعجاز العلمي قي آيات الموت فإنه من الضرورة أن تعرج على أنواع الموت، والموت نوعان هما: الموت الأصغر والموت الأكبر، أما الموت الأصغر فيقصد به (النوم) وجاء هذا المسمى لأن الإنسان ترد إليه روحه فيستيقظ من موتته، أما الموت الأكبر فلا تعود الروح مرة أخرى للجسد وتفارقه بلا عودة، ولقد ذكر الله ذلك في كتابه العزيز في أكثر من موضع، فيقول جل وعلى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١)﴾[1]، فتفسير هذه الآيات الكريمة هي أن الله سبحانه وتعالى يتوفى الإنسان كل ليلة أي تفارقه الروح (يتوفاكم بالليل) ثم يرسلها مرة أخرى عند الاستيقاظ (يبعثكم) ليقضي الإنسان بقية حياته حتى يصل إلى النهاية المحتومة أي الموت (أجل مسمى) ثم يبعث الإنسان من قبره (مرجعكم) وذلك حتى يبدأ الحساب على العمل الذي قام به الإنسان (ينبئكم بما كنتم تعملون).

ولا يبتعد تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٤٢)﴾[2] عن تفسير الآية السابقة كثيرًا، إلا أن هناك إشارة أكثر وضوحًا عن الفرق بين نوعي الموت، حيث تداخل الموت الأصغر مع الموت الأكبر، فالله سبحانه وتعالي يتوفى الإنسان وجاء الفعل يتوفي هنا بمعنى الأخذ، ومن هذا المنطلق يكون تفسير

(١) سورة الأنعام، الآيتان ٦٠-٦١.

(٢) سورة الزمر، الآية ٤٢.

الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يأخذ الروح حين يموت الجسد أو ينام، فأما من يموت فهو الذي أخذت روحه واحتجزت بأمر الله فلن تعود إلي الجسد مرة أخرى، أما من تبقى له وقت في أجله وعمره فإن الروح ترجع إلي الجسد حتى يحين موعد قبضها فتغادره بلا رجعة، لذلك نجد أن أشرف الخلق سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام كان إذا قام من نومه يقول «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»[١] صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد مثَّل النوم منذ قديم الأزل لغزًا محيرًا للإنسان، فاعتبره فلاسفة الإغريق إلهًا وأطلقوا عليه اسم " هيبنوس **Hypnos** واعتبروه ابن إله الليل **Nyx**، واعتقدوا أنه كان لهيبنوس أخ شقيق سموه ثاناتوس **Thanatos** وهو إله الموت، لذلك اعتقدوا أن النوم والموت أخوان شقيقان لأب واحد هو إله الليل"[٢]، وكذلك كتب أرسطو(**Aristotle**) قبل أكثر من ٢٣٠٠ سنة رسالة بعنوان " بين النوم واليقظة " يتساءل فيها عن ماذا يحدث لنا أثناء النوم ولماذا؟ وتوصل إلى أنه في أثناء النوم تتكون انطباعات خفية تعطينا رؤية أفضل للمستقبل لأن الحلم ما هو إلا صورة من المخيلة التي تتحرر من قبضة العقل[٣]، وفي هذا جزء كبير من الحقيقة حيث يتجاوز الإنسان حيز الزمن فيعود به إلى بداية الخليقة أو يقفز إلى المستقبل أو يتنقل بين عصور مختلفة أثناء

(١) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري: المسند الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، بيروت،١٩٩١م، ٤/ ٢٠٨٣.

(٢) أحمد شوقي إبراهيم: أسرار النوم..رحلة في عالم الموت الأصغر، نهضة مصر، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٩.

(3) Michael Finkel: While We Sleep, Our Mind Goes on an Amazing Journey, national geographic magazine, August, 2018. https://www.nationalgeographic.com/magazine/2018/08/science-of-sleep/

نومه دون أن يشعر النائم بأي شيء غير مألوف، وكما يتجاوز حيز الزمن فإنه يتجاوز حيز المكان أيضا فيقابل الآخرين الذين يبعدون عنه آلاف الكيلومترات دون أن يتعجب كيف تقابل معهم وسافر إليهم دون أي وسيلة انتقال معروفة أو غير معروفة، بل نجد الإنسان في نومه يتجاوز فكرة الحياة والموت فيقابل الأموات ويتحدث معهم ويناقشهم دون أن يشعر بأن هناك اختلاف بينه وبينهم أو أنهم موتى وهو مازال على قيد الحياة.

ولقد توقف العالم الدكتور مصطفى محمود كثيرًا أمام هذه الإشكالية واعترف أنها كانت سببًا رئيسًا في رجوعه إلى جادة الصواب والرشد بعد أن كان يمر بفترة شك كبيرة بسبب تفكيره المادي فقط في كل ما يدور حوله[1]، ووصف الدكتور مصطفى محمود الإنسان عندما ينام بأنه أشبه شيء بالشجرة " يستحيل عليه التعبير عن روحه ومعنوياته الراقية فيأخذ أجازة..ويعود ملايين السنين إلى الوراء..ليعيش بطريقة بدائية كما كان يعيش النبات.. حياة مريحة لا تكلف جهدًا..إن سر الموت يكمن في لغز النوم..لأن النوم هو نصف الطريق إلى الموت، نصف الإنسان الراقي يموت أثناء النوم..شخصيته تموت..عقله يموت..ويتحول إلى كائن منحط مثل الإسفنج والطحلب يتنفس وينمو بلا وعي..وكأنه فقد الروح".[2]

فإذا لجأنا إلى القرآن الكريم نجد أن الله سبحانه وتعالى يتحدث عن آية – أي معجزة – من آياته وهي النوم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾[3]، وتتبدى هذه المعجزة عندما نذهب إلى علم الطب، فيقول الأستاذ الدكتور الطبيب أحمد شوقي إبراهيم " لما كان النوم يختلف كثيرًا عن حالة اليقظة، فلابد أن نتوقع حدوث

(1) https://www.youtube.com/watch?v=cAyn-zo8_rQ

(٢) مصطفى محمود: لغز الموت، ص٤٢.

(٣) سورة الروم، الآية ٢٣.

تغيرات في الجسم أثناء النوم، وهي تغيرات كثيرة ومختلفة: تغيرات في صلة الجسم بالعقل والنفس والروح، وتغيرات في مستوى الإدراك، وتغيرات في جسم الإنسان نفسه، وفي وظائف أعضائه"[1]، فحرارة الجسم تنخفض حوالي نصف درجة، وتقل نبضات القلب، وينخفض ضغط الدم، وتتباطأ الأمعاء وتبطئ عمليات الهضم، يقل هرمون التحفز(الكورتيزون)، ويزداد هرمون النمو لدى الأطفال، وتحدث حركات العيون السريعة أسفل الجفن، ومن هنا كان " الإنسان الذي يعيش مائة سنة بين نوم ويقظة يستطيع أن يعيش ثلاثمائة سنة إذا عمل على حسابه أن ينامها كلها "[2].

هذا التباطؤ الذي تمر به أجهزة الجسد أثناء النوم ينقلب مرة أخرى إلى تسارع عندما يقترب النوم من نهايته، فتبدأ درجة الحرارة في الارتفاع، ويعود معدل النبض إلى معدله الطبيعي وكذلك ضغط الدم، ويعود هرمون النمو إلى حالته الطبيعية في الجسم، ولكن لم يلبث كل ذلك أن يتغير عندما يعود الإنسان إلى النوم مرة أخرى، فالنوم يعطي أجهزة الجسد الراحة التي تحتاج إليها، مصداقًا لقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١)﴾[3]، ويحدد لنا الله سبحانه وتعالى أن الليل هو الوقت الأفضل للنوم، لأن هناك مادة الميلاتونين التي يفرزها المخ في الظلام لتساعد الجسد على النوم لكي يستيقظ في الصباح في همة ونشاط، فالمخ يعمل عمل الساعة البيولوجية وهذه الساعة التي تحدد ساعة النوم واليقظة، لذلك يعاني الذين يسافرون بالطائرات مسافات بعيدة أو الذين يتطلب عملهم القيام بأعمال ليلية متعارضة مع ساعتهم البيولوجية من إرهاق بدني وعصبي يستمر عدة أيام.

(١) أحمد شوقي إبراهيم: أسرار النوم..رحلة في عالم الموت الأصغر، ص٢٢.
(٢) مصطفى محمود: لغز الموت، ص٤٤.
(٣) سورة النبأ، الآيات ٩-١١.

وبعد كل هذه الأدلة التي أعطاها الله لنا في كتابه العزيز وفي الكون كله من حولنا والتي لا تتعارض بأي شكل من الأشكال مع النص القرآني نجد أن بعض البشر مازالوا لا يؤمنون بوجود الله الواحد الأحد، لأنهم ماديون لا يؤمنون إلا بما يبصروه، وبصرهم عاجز عن رؤية القوة والسلطة الأعلى منه والتي تتحكم في مصيره ومصير الكون كله، ولذلك آتى السؤال الاستنكاري في القرآن ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]، فالكافر والملحد يشعر بأزمة وقلق وتوتر وذعر لا نهائي من الموت، لأنه لا يريد أن يعلم أنها رحلة قصيرة لابد أن تنتهي، ولكنه لا يريد أن يترك النعيم الذي يعيش فيه – من وجهة نظره – ويتمنى أن يُخلد في الدنيا ولا يفارقها أبدًا، كما قال الحق سبحانه وتعالى ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ*كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا*وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[2]، فلعلهم يسمعون الحق – في يوم ما– قبل أن يأتي الموت الذي لن يترك أحدًا مهما كان منصبه ومهما فعل ليحتمي منه، فـ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[3].

وكما علينا كمسلمين أن ننصحهم بأن ينظروا في كتاب الله علينا أيضًا أن نذكر أنفسنا دائمًا وأبدًا أن الله مطلع علينا في كل وقت وحين، وأن نوقن أن القرآن الكريم هو إعجاز يتجدد في كل زمان ومكان، إعجاز يزيدنا إيمانًا وحبًا وإخلاصًا لله عز وجل.

والله من وراء السبيل ..

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨.

(٢) سورة الحديد، الآية ٢٠.

(٣) سورة النساء، الآية ٧٨.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

- أحمد شوقي إبراهيم: أسرار النوم..رحلة في عالم الموت الأصغر، نهضة مصر، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٦م.

- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

- عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز: مع الطب في القرآن الكريم، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٨٢م.

- عصام قصاب: البحث عن الحقيقة الكبرى، دار الفكر، دمشق،١٩٩٩م.

- كارل ساغان: الكون، ترجمة نافع أيوب لبّس، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، الكويت، العدد ١٧٨، ١٩٩٣م.

- محمد بن أحمد بن فرج الأنصاري القرطبي: التذكرة في أحوال الموتى وأمور أخرى، تحقيق عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

- محمد حسان: أحداث النهاية ونهاية العالم، مكتبة الفياض، المنصورة، ٢٠٠٧م.

- محمد زكي خضر: دراسة إحصائية لكلمات القرآن الكريم، المؤتمر الثالث للغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠١١م.

- محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، الجزء الرابع، قطاع الثقافة، أخبار اليوم، د.ت.

- نهاية العالم، قطاع الثقافة، أخبار اليوم، د.ت.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري: المسند الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، بيروت،١٩٩١م.
- مصطفى محمود: حوار مع صديقي الملحد، دار المعارف، د.ت.
- رحلتي من الشك إلى الإيمان، دار المعارف، د.ت.
- لغز الموت، دار المعارف، د.ت.
- يوسف الحاج أحمد: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، مكتبة ابن حجر، الطبعة الثانية، دمشق، ٢٠٠٣م.

المراجع الأجنبية

- Dave Mosher: The life on the Erase began from the land not the sea, national geographic magazine, April,2012. http://news.nationalgeographic.com/news/2012/02/120213-first-life-land-mud-darwin-evolution-animals-science
- G. Bilalbegovi and Others: “Do cement nanoparticles exist in space?”´Monthly Notices of the Royal Astronomical Society, Vol.442, 2014, P.1319.
- Michael Finkel: While We Sleep, Our Mind Goes on an Amazing Journey, national geographic magazine, August, 2018. https://www.nationalgeographic.com/magazine/2018/08/science-of-sleep/

برنامج مصطفى محمود على اليوتيوب

- https://www.youtube.com/watch?v=cAyn-zo8_rQ